

## الفصل الثالث

### آسيا والتاج الملكي

أولاً: الإسلام في آسيا

كانت منطقة شرق آسيا تسمى وإلى عهد قريب (شبه القارة الهندية) وذلك قبل أن يمزق الاستعمار الحديث أوصالها، وهي تبلغ في مساحتها (١,٢٢١,٠٧٢) ميلاً مربعاً أى ما يعادل مساحة أوروبا مجتمعة - غير روسيا.

قال المهتمون والباحثون فيها: أنها بلد مغلقة، وذلك لأنها تقع بين نهريين عظيمين أحدهما نهر السند، والآخر نهر الكنج، ويحدها البحر شرقاً وغرباً، ومن الشمال سلاسل جبال الهمالايا الشاهقة.

والهند هي بلاد المجتمعات والطبقات والشعوب، ومن ثم فإنها لذلك بلد الأديان، واللغات، واللهجات، والألوان، والأساطير، والأسرار.

ويمكن التأكيد على أن الهند كانت مركزاً من مراكز الحضارة القديمة في العالم، وهي لا تقل عن الحضارة المصرية، والأشورية، والبابلية، والقرطاجية.

وكان الرحالة العرب من القحانيين (سابقى الذكر) هم أول من وطأت أقدامهم أرض الهند وقد عرفوها مبكراً بعد أن برعوا في الإستفادة من تغيير حركة الرياح، وصناعة السفن حتى احتكروا تماماً الملاحة في المحيط الهندي.

ولا تختلف العقيدة في الهند عن مثيلاتها في إفريقيا حيث تنتشر عبادة أرواح الأجداد، والظواهر الطبيعية والأبقار، والنمور... إلخ - أى - عبادة (الطاغوت).

وقد تعرضت الهند لغزو سلمى من الآريين فى حوالي ١٥٠٠ ق.م، وتتمثل أهمية تلك الحادثة فى أنها قد ارتبط بها التاريخ الواضح للهند القديمة<sup>(١)</sup>.

كما يجدر القول بأن الحضارة الهندية ارتبطت وإلى حد كبير بالحضارة اليونانية بعد غزو الإسكندر فى القرن الرابع قبل الميلاد، إلا أنه لم يتمكن من السيطرة على كل الهند، وبعد رحيل الإسكندر وضياع إمبراطوريته فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ظهرت إمبراطورية (الوريا) الهندية<sup>(٢)</sup>.

(١) حضارة الهند ص (١٠٠، ١٠١) غوستاف لوبون.

(٢) تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ٢٨ د. أحمد الساداتى.

ثم نجح بعدُ الملك ( داهر) في انتزاع إقليم السند من القبائل الآرية التي كانت تحكمه، وقد عرف الإسلام طريقه إلى هذه البلاد في عصر ( الملك داهر) متخذاً له طرقاً عدّة ومجتازاً لعدة مراحل .

\* \* \*

### المرحلة الأولى

يقول « غوستاف لوبون » في كتابه حضارة الهند ص ٢٣٧ « وُجِدَت علاقات تجارية بين الهند والعرب قبل أن يظهر الإسلام، فقد كانت الهند من المحطات التجارية المهمة لدى العرب، كما كانت في الطريق لتجارتهم مع ماليزيا وإندونيسيا والصين، وكانت التجارة العربية مع الهند تسير براً من مصر والشام على ساحل البحر الأحمر إلى اليمن ثم تبدأ المرحلة البحرية عن طريق حضرموت وعمان والبحرين إلى كراتشي، أو عن طريق المحيط الهندي إلى الموانئ المختلفة بالهند. وأضاف لوبون: إن التجارة كانت تصل مراكز الشرق كسمرقند وبغداد ودمشق بالهند مارة ببلاد فارس وكشمير.

وقد وُجِدَت البضائع والمنتجات الهندية في الأسواق العربية والإفريقية قبل الإسلام مثل ( العنبر، العود، المسك) (١). وعن طريق هذه الصلات والعلاقات التجارية القوية. دخل عدد من الهنود الإسلام وبخاصة من الطبقات المقهورة والمتمردين على النظام الطبقي في الهند الضائقين به، وقد تمتعوا جميعاً بالمساواة والعدل والإخاء الذي يدعو إليه الإسلام. ويروى المؤرخون أن مراكز إسلامية أقيمت في الهند للدعوة إلى الدين الإسلامي، وقد ساهمت في هذا وإلى حد كبير تلك الزيجات التي تمت بين التجار والنساء الهنديات، وبدأ الإسلام ينتشر على أرض الأساطير والأوهام.

\* \* \*

### المرحلة الثانية

ما أن فتح الله بلاد فارس للمسلمين في عهد الخليفة الفاروق ( عمر ابن الخطاب) (٢) حتى بدأوا في التطلع شرقاً، فأسلمتهم خراسان من دون قتال، ووضع المسلمون نصب أعينهم بلاد السند ثاراً من ملكها ( داهر) الذي ساند الفرس وأمدهم بالمال والرجال للتصدي للفتح الإسلامي وللحيلولة دون زحفه، وقد كان ذلك

(١) المسالك والممالك ص ٦١ ابن خرداذية.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ .

منه عندما إستنجد ملك الفرس بجيرانه، ولكن النصر كان حليفا بالمسلمين، ففتح ذلك الطريق لفتح السند رداً على تدخلها فى معركة القادسية.

هذا وقد تطوع (الحارث بن مرة) فى عهد أمير المؤمنين (على بن أبى طالب) بالتوجه إلى بلاد السند بقيادة جيش من المتطوعين بعد أن أذن لهم الخليفة فى ذلك، وكانت تلك أول الغزوات التأديبية الهادفة إلى الردع والتأديب، والتهديب.

وفى عهد معاوية بن أبى سفيان أمر القائد الشهير (المهلب بن أبى صفرة) بإرسال «عبد الرحمن بن سمرة» لفتح بلاد السند واستقر بها.

ثم استغل «الحجاج بن يوسف الثقفى» واقعة اعتداء (داهر) على سفينة عربية بملاحيتها، والإيقاع بهم فى الأسر، فأرسل جيشاً بقيادة «صهرة» ابن أخيه (محمد بن القاسم الثقفى) لفتح السند وتخليص النساء، وسلكت القوات مسلماً بحريا بقيادة ابن أخيه، وسلك ابن القاسم الطريق البرى، ودارت معارك عنيفة، انتصر فيها المسلمون وانهزم الجند، وفر «داهر» هارباً وخضعت البلاد صلحاً أو عنوة، وخضعت السند كلها، وتقدم ابن القاسم حتى كشمير<sup>(١)</sup>.

ومما يذكر المؤرخون أن عاملاً مهماً كان قد ساعد المسلمين على تحقيق النصر السريع على (داهر) وجيوشه هو الدعم الهائل والكبير الذى قدمه رجال قبيلتى (الميد، الجات) السنديتين للجيوش الإسلامية بعد أن تمردوا على ملكهم وانضموا لقوات الفتح الإسلامى، وقد أفادوهم كثيراً بالتعرف على أقصر الطرق وأيسرها، وبذلوا جهداً مشكوراً، وقدموا عملاً حميداً فى فترات القتال خاصة لشدة معرفتهم بمسالك السند ودروبها وأحوال أهلها وأساليبهم فى القتال<sup>(٢)</sup>.

ويعود السبب فى موقف (الميد، الجات) إلى كون القبلتين هاجرتا إلى خارج السند لفرط ما يعانونه من سوء معاملة الحكومة، إذ كانوا فى عداد المنبوذين الذين يحرم عليهم امتطاء الدواب، وارتداء غالى الثياب ولم يكن يباح لهم من الحرف إلا أحقرها.

وفى العصر العباسى وأثناء ولاية «هشام بن عمرو التغلبى» سنة ١٥١هـ، تم فتح كشمير وملتان فى البنجاب وكجرات وبنى بها مسجداً يعتبر من أهم معالم الهند حتى الآن.

(١) فتح البلدان : البلاذرى ص ٤٢٤ .

(٢) تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ٥٩ .

## المرحلة الثالثة: الدولة الغزنوية

التي أسسها التركي (ألب تكين) ٩٦٢ : ١١٨٧ م . وجعل من غزنة بأفغانستان عاصمة لها، وحكمت امبراطورية واسعة شملت البنجاب، وأفغانستان، وشرق إيران، وقد قضى عليها الغزو المغولي بقيادة «جنكيز خان» .

أما زعيمها شبه الأسطوري فهو بطل الأبطال في تاريخ أفغانستان (محمود الغزنوي) الذي جلس على عرش غزنه في ٩٩٣ م . وقد تمكن «محمود» من فتح خراسان، وسار شرقاً نحو الهند، وكان عدوه الرئيسي [راجا] البنجاب، وقد هزمه محمود واستولى على «ملتان» في ١٠٠٠ م وتوج نفسه سلطاناً عليها .

حاول رؤساء الإقطاع هناك تكوين حلف مناهض للملك الغزنوي الفذ، ولكنه تغلب عليهم جميعاً بسهولة، وبعد أن سقطت معاقل الهند غرب نهر «كجرات» حمل «محمود» مشعل الإسلام إلى كشمير في ١٠٢١ م .

وقد خضع شمال شبه القارة الهندية من «غزنة إلى بنارس»، ومن الهملايا إلى الدكن، وقد امتدت مملكة الغزنوي من «فارس غرباً إلى بهار شرق الهند» .

كما ساعد انقسام الهند إلى إمارات وممالك متعددة، حيث كان هناك (راجا) دلهي، و(راجا) قنوج في أودها ووادي الكنج، وآل بال في «البنغال وبهار» أما الجنوب فكانت تسيطر عليه إمارات هندوسية ثلاث هي (جيرا، راجول، تبيندرا) وكانت كلها متحاربة في صراع دائم<sup>(١)</sup> .

وقد عنى الغزنويون كثيراً بنشر الإسلام في الهند، واعتبر محمود الغزنوي نفسه داعية إسلامياً، وكان مما سبب انتشار الإسلام في الهند أن الغزنويين حزوا حزو التجار العرب المسلمين فتزوجوا من الهنديات فكونوا بذلك أسراً إسلامية بالهند وقربوا إليهم عدداً من الهندود وعينوهم في وظائف مناسبة مما قرب المسافة بين الفاتحين والبلاد المفتوحة .

ثم تعددت المراحل والأطوار، وتعددت بتعدد الدول في شبه القارة الهندية ومن أهمها: دولة «الغوريون» وقد أسسها محمد الغوري ٥٩٩ هـ وصار ملكاً على أفغانستان والهند، وسار في الهند يكمل زحفه ونشاطه حتى أصبح شبيهاً بالبطل شبه الأسطوري محمود الغزنوي في نجاح فتوحاته بالهند، وفي تحطيم أصنامها وجذب كثير من سكانها لدين الإسلام، ثم دولة سلاطين دلهي، وجاءت الإمبراطورية المغولية من ٩٣٢ هـ : ١٢٧٥ هـ - (١٥٢٦ : ١٨٥٨ م) وقد بدأت هذه بدايتها الأولى من

(١) حضارة الهند ص ٢١٧ .

كابول فى عام ٩٦٠هـ وتلك قد أقامها «بابز» حفيد تيمور لنك على أرض أفغانستان، ومن كابول بدأ يوسع مملكته ويدعم سلطانه حتى مات ودفن فى كابول عام ٩٣٧هـ. وقد خضعت إيران لحكم المغول لفترات طويلة.

تمردت إيران على حكم المغول الذى دامت فى ظله عدة قرون، واستطاع الإيرانيون بقيادة (اسماعيل الصفوى) أن يجتمعوا حتى تكونت الدولة الصفوية فى عام ٩٠٦هـ، ١٥٠٠م تقريباً<sup>(١)</sup>، وتتابع الحكام الصفويون حتى اتجهت الدولة الصفوية نحو النهاية وانحدرت سريعاً بعد أن استطاع «نادر قلى» الإطاحة بالسلطان «أشرف بن ويس» الأفغانى ووضع على كرسي الحكم مكانه (طهما سب الثانى) الذى حكم باسم (الأداة) عشرة أعوام، ثم خلعه (قلى) ووضع مكانه ابنه عباس الثالث. ولما توفى بعد فترة وجيزة قبض (نادر قلى) على الأمور باسم نادر شاه وانقضت بذلك أسرة الصفويين<sup>(٢)</sup>.

وقد اهتم «نادر شاه» اهتماماً بليغاً بتجديد شباب الدولة الفارسية، وتقوية دعائمها، ثم زحف من إيران على البلاد المجاورة له، فتوجه إلى الهند فضم فى طريقه إليها «قندهار»، و«كابول»، ثم دخل لاهور جنوبى (باكستان الحالية)، واحتل البنجاب فى ١٧٣٨م، وقد حاول الإمبراطور المغولى (ناصر الدين محمد شاه) أن يرد نادر شاه عن غزوه لبلاده. ولكنه فشل، ووصل نادر شاه إلى دلهى، وقضى على الإمبراطور المغولى بعد أن أمّنه، وقد ثار المسلمون فى الهند ضد نادر شاه لموقفه من إمبراطورهم، ونتيجة لذلك أباح (نادر شاه) مدينة دلهى لجنوده، فعاثوا فيها فساداً، ودمروا وسلبوا ما استطاعوا، وكانت أبرز الأسلاب:

(الجوهرة النادرة) التى كانت فى تاج (شاهجهان) وقد تنقلت هذه الماسة من يد إلى يد حتى استقرت فى تاج ملك إنجلترا، ولا زالت السلبية الهندية على رأس تاج الملك البريطانى حتى الآن<sup>(٣)</sup>.

وقد عاد نادر شاه إلى بلاد فارس بعد أن فعل ما فعل فى إمبراطورية المغول فى الهند، وتركها تصارع الموت وتترنح من شدة هول ما لاقت على أيدي جنوده، وبذلك أصبحت فريسة سهلة للمتربصين بها من السيخ، والهنادكة، وطلائع الإنجليز التى قد بدأت حديثاً فى الوصول إلى الهند.

(١) إيران فى ظل الإسلام ص ٢١ د. عبد النعيم حسنين.

(٢) يتصرف من التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ص ١٤٢ : ١٥١ .

(٣) يروى المؤرخون أن حادثة تخريب دلهى سنة ١٧٣٩ كانت نذيراً بسقوط الدولة

وفى بادرة قوية تؤكد على انحدار الإمبراطورية المغولية وضياع هيبتها وقع قتال ضارب بين المسلمين والهنود، حيث قاد (أحمد) ابن الإمبراطور المغولى (ناصر الدين محمد) الذى أراد أن يوطد سلطانه على دلهى بعد وفاة أبيه، أما الفرقة الثانية فكانت تحت قيادة (أحمد شاه الإبدالى - الأفغانى) الذى استولى على لاهور سنة ١٧٤٨م. وامتد سلطانه إلى دلهى، ساعدته على ذلك الثورات العارمة التى كانت تغمر بلاد الهند، هذا بخلاف النصر الذى تمكن به الإنجليز من احتلال منطقة البنغال.

وقد تدخل الإنجليز بعد هذا النصر تدخلاً صريحاً فى شئون الهنود، أدمى نفوس الهنود جميعاً مسلمين وغير مسلمين، وعمت الثورات بلاد الهند بزعامة الملك (بهادور شاه) آخر ملوك المغول، ولم يستطع الثوار الصمود أمام الأسلحة الحديثة القتاة فلحقت بهم الهزيمة.

وبدأت الهند أخرج مراحلها فى العصر الجديد تحت حكم الإنجليز الذى يفضله تمكنت شركة الهند الشرقية البريطانية والعاملين فيها من إلحاق الهزيمة بجيش (سراج الدولة) من أثر الخيانة، وفتحت الطريق لبسط السيطرة البريطانية على الهند التى أتمها الإنجليز على كل ربوع الهند فى ١٧٦٣م<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

### الهنود فى مجال الحضارة الإسلامية

جاء فى كتاب (سير الأعلام للذهبي) قوله (ولقد لعب عدد من الهنود أدواراً مهمة فى الحضارة الإسلامية)، ومن هؤلاء (أبو عطاء السندى) الذى نبغ فى الشعر نبوغاً عظيماً، ومدح به خلفاء بنى أمية، وأوائل الخلفاء العباسيين، ومنهم كذلك «الأعرابي» وكان من أعلام اللغة العربية، وهو مؤلف كتاب «أسماء الخيل»، ومنهم «أبومعشر السندى» صاحب المغازى الذى نبغ فى علوم الفلك، ومنهم «صالح بن بهلة» الهندى - وكان بارعاً فى الطب.

وإذا كانت هذه الأسماء قد برعت فى العصر الأول للإسلام فى شبه القارة الهندية، فإن المؤرخين يجمعون على أن رجالات العصر الغزنوى قد تطورت الأمور فى حياتهم نحو الأفضل، حيث تضاعف الارتباط بين الهنود والمسلمين، وفتح الباب أمام الهنود ليبرعوا فى الفكر الإسلامى وليكتبوا فى مجالاته المتعددة، حتى كانت المنافسة بين مدرسة الهند والمدارس العملية فى القاهرة وبغداد.

(١) موجز تاريخ العالم ص ٢٠.

## الهند في ظل الإسلام

حمل الإسلام إلى الهند حضارة واسعة مختلفة الإتجاهات، عظيمة التكوين، فهي خليط عظيم من حضارة العدنانيين في مكة، والحضرموتيين والقحانيين في اليمن والفراعنة في مصر والفارسية والأشورية والبابلية والرومانية، والفينيقية، بعد أن أثرت الحضارة الإسلامية في الفكر العالمي كله باستيعابها للحضارات العالمية التي احتضنتها واحتوتها.

وقد أفرزت علومها متوسعة، وحضارة مهذبة، وأنتجت عقولاً تُبدع في المعارف المتنوعة. فضلاً عن رسالة التوحيد التي يُنادى بها الإسلام لعبادة الله الواحد الأحد، وليقرر لهم حق المساواة بين الجميع من دون تمييز لقوله ﷺ (الناس سواسية كأسنان المشط)، كما يؤكد كذلك على حق الحرية الفكرية حيث كانت الهندوسية لا تسمح للبوذية بالبقاء في الهند قبل دخول الإسلام.

وقد أوجد الإسلام في الهند لأول مرة عبر تاريخها الدولة الواحدة التي تمارس عملها بأسلوب ديمقراطية الحكم في وحدة سياسية واحدة، بعد أن كانت تتكون من إمارات عديدة، وقد ضمت هذه الدولة إلى جانب الهنود عناصر غير هندية كالفارسية التي أضحت لغة معمولاً بها بين الحكام وحاشية البلاط، وقد أُستعملت في كتابة بعض الكتب والمؤلفات المفيدة في شتى الموضوعات.

كما أدخل المسلمون إلى الهند كتابة التاريخ لأول مرة، وجعلوهم يهتمون بالعلوم والمعارف، واختفى العرى الجسدى، واتحدت الملابس بين الطبقات تقريباً... وعاش الهنود مرحلة جديدة أقامت بين تخلف الماضي ستراً وحجاباً، حتى تعرضت للهجمة الأوروبية الشرسة التي حدثت تباعاً بعد ذلك مع العبور الصليبي إلى آسيا.

\* \* \*

## ثانياً : أفغانستان

قطر استراتيجى حيوى فى قلب آسيا، وهى ما تعرف بآسيا الوسطى، وتشكل من مساحة غير منتظمة الشكل، لا تتصل ببحار من أى جهة، يحدها من الشمال الإتحاد السوفيتى، ومن الغرب إيران، ومن الشرق الهند، ومن الجنوب باكستان. وتأتى أهمية أفغانستان الجغرافية من كونها تتحكم فى الطرق الاستراتيجية العالمية التى تؤثر بشكل كبير فى ازدهار حضارات، أو اندثار أخرى. كما أنها تقيم اقتصاديات دولة وتصيب بالكساد أخرى، كما أنها تمسك بمفتاح العبور بين الحضارات القديمة (الهندية - الفارسية - البابلية) وكذلك فهى تتحكم بمقدار فى التجارة الإقليمية فى وسط آسيا والتجارة العالمية على السواء.

يتحدث أكثر أهل أفغانستان الفارسية، وبعضهم يتحدث الأفغانية، ويعود تاريخ ظهور أفغانستان كوحدة جغرافية مستقلة عند أواسط القرن الثامن عشر، أما فيما قبل ذلك فقد تأثرت ظروف أفغانستان تماماً بظروف إيران من انتصارات وهزائم، فالغزو الآرى السلمي الوافد من الخليج دخل فارس، وتقدم إلى آسيا الوسطى، ونزل أفغانستان، وكذلك زحف الإسكندر الأكبر، هذا وقد خضعت إيران وأفغانستان معا للإخمينيين فى العصر الإخمينى .

وكانت أفغانستان تدين بديانتين محليتين شهيرتين فى آسيا هما (البوذية ، زرادشت) .

ويخلص بروفيسور (رومين) تاريخ أفغانستان قبل الاستقلال بقوله : ( خضعت أفغانستان خلال قرون طويلة حتى القرن الثامن عشر لحكم الأمراء الهنود، ومرة أخرى لحكم الفرس، وثالثة لمملكة بخارى (تركستان، أوزبكستان، طاجكستان) (١) .

وقد قاسى الأفغانيون تحت حكم الأمراء، وعانوا من اختلاف الأهواء التى سادت أمزجة ذلك الزمان كنتيجة مباشرة لإختلاف جنسيات الحكام ولغاتهم وأسلوب إدارتهم، مما انعكس تماماً بالسلب على حياة الأفغانيين خاصة من شعورهم المستمر بالظلم والإضطهاد الذى دام بهم طويلاً نتيجة لاستمراره كاسلوب حكم لرؤساء المناطق الأفغانية متعددة الأعراق والقوميات .

وقد كانت استجابة المناطق الأفغانية سريعة وقوية لدخول الدين الإسلامى الذى دخل بلادهم فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى عام ٢١هـ تقريباً، ثم دخلوا جميعاً فى دين الله أفواجا بعد الفتح الإسلامى لكابول عام ٦٦١ : ٦٦٣م - ٤٢هـ فى عهد الحاكم الأموى معاوية بن أبى سفيان؛ حيث رحب الأفغان بالدين الجديد وأقبلوا عليه طواعية واختياراً .

وقد تعددت الممالك التى حكمت أفغانسنان، وطال حكمها مشيداً إيران والهند ومناطق أخرى، حتى ظهرت أفغانستان الحديثة كدولة مستقلة عام ١٧٤٧م حيث التف الأفغانيون حول زعيم من زعماء القبائل الأفغانية هو (أحمد خان الإبدالى) .

وكان «أحمد الإبدالى» قائداً شهيراً فى فرقة قوية من (الإبدالية) وهو يتمتع بمكانة طيبة وقريبة من «نادر شاه» الذى اغتاله الفرس عام ١٧٤٧، فسار أحمد إلى قندهار واستولى عليها وجعلها عاصمته، ونادى لنفسه ملكاً عليها ثم استولى على

(١) نقلا عن موسوعة التاريخ الإسلامى ج ٨ ص ٢١٨ .

الجانب الشرقي من امبراطورية نادر شاه حتى نهر السند، وامتد سلطانه إلى ما وراء السند، وضم ولايات كشمير ولاهور وملتان. وهكذا صارت أفغانستان الحديثة.

حتى مات في ١٧٧٣ فخلفه ابنه تيمور الذى نقل العاصمة إلى كابل، وتعرضت البلاد فى عصره لهزة عنيفة وعوامل ضعف كثيرة هددت وجود الإبداليين من أهمها :

١- الاستعمار الإنجليزي الحديث الذى بسط نفوذه وسيطرته على كل الهند، ثم تحريضه الشيخ على الثورة ضد الحكم الإسلامى لإرباك المسلمين ضمن منخطط كبير يهدف إلى القضاء على الوجود الإسلامى فى آسيا ومثيله فى إفريقيا وتحويل انظار المسلمين بعيداً عن إبادة المسلمين فى جنوب أوروبا.

٢- بداية مرحلة جديدة فى حكم فارس هددت استقلال أفغانستان.

٣- تطلع الروس إلى جارتهم الأفغانية خاصة أنها مطمعا للبريطانيين، مما جعل روسيا تتطلع لبسط نفوذها على أفغانستان قبل بريطانيا.

٤- نشأة العديد من الصراعات الداخلية بين أبناء (تيمور شاه) نفسه من جهة ثم فيما بينهم جميعاً وبين منافسيهم من القبائل الأخرى من جانب آخر وهم (الباركزائون) .

وفى فترة حكم «شاه» ابن تيمور شاه الذى كثرت انحرافات، وتعددت مساوئه وتراكمت أخطاؤه - فعزله أخوه - وعرفت هذه الإمبراطورية طريق النهاية بهذا المسلك.

آل الأمر إلى الأسرة الباركزائية ١٨٢٦ : ١٩٧٣ بقيادة (دوست محمد) الذى تولى حكم البلاد، بعد أن نجحت المؤامرات فى تقسيم البلاد باستقلال الولايات الخارجية، وقنع حكام هذه الدولة بلقب أمير بدلا من شاه.

على الرغم من ذلك فإن تاريخ هذه الأسرة ملئ بالصراعات بين الأفغان والقوى الغازية من الخارج خاصة بريطانيا، التى لا تالوا جهداً فى استغلال الخلافات الداخلية كوسيلة فعالة للتدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى. من ذلك مساعدتهم لأسرة «الدّرانية» المخلوعة ضد الحكم الباركزائى القائم، وتذرعت بذلك وأدخلت حاميتها العسكرية، ولكن أفغانستان ألحقت بهذه الحامية هزيمة ساحقة وأبادتها عن آخرها سنة ١٨٤١م عند ممر (خرد كابل) وقد سُجِّلَ هذا الحدث فى التاريخ البريطانى الملكى كواحدة من أكبر المحن والمصائب التى ألمت ببريطانيا آنذاك.

حاولت بريطانيا الثأر لكبرياء تاجها، واستعادت مكانتها فقامت بحروب متعددة انتهت آخرها بحرب «١٨٧٨م» والتي استمرت حتى عام «١٨٨١م» وقد أنزل الأفغانيون هزائم متتالية ومرّوعة وقاسية بالإنجليز، وقد حققوا انتصارات ساحقة في معركة (ميوند) بقيادة الأمير (سردار أيوب) حيث فقد الإنجليز جيشا بأكمله.

ثم قدم الإنجليز وقود حروب جديدة ابتداء من ١٩١٩ حتى ١٩٢١ وقد حقق الأفغان ألوانا من النصر على الإنجليز، واعترفت بريطانيا على إثرها باستقلال أفغانستان في اتفاقية (روالبندي).

ولعل الدور الذي اضطلعت به أفغانستان منذ ما قبل عصر الغزنويين وإصرارها على قيادة الفرس والهند وبعض دول الجوار عبر تاريخ طويل منذ عصر الفتوحات الإسلامية حتى أصبحت عضواً في هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦، بالإضافة إلى الإضرار المباشر بالمصالح الاستعمارية في شبه القارة الهندية خاصة بعد الهزائم القاسية التي تلقته على أيدي الأفغانيين.

لعل ذلك هو ما جعل أفغانستان مستقرة في بؤرة شعور الإستعمار في العصرين الحديث والمعاصر، حيث أن قيام حكم إسلامي في أفغانستان السنية المتحمسة لدينها، المتشيدة لصالح إمتها، فضلا عن جوارها الملاصق وارتباطها الاجتماعي والثقافي والجغرافي مع الباكستان مما يجعل إحدى الدولتين بمثابة الفناء الخلفي لأمن الدولة الأخرى - فهذا كله يهدد مصالح الغرب بالكلية لا في الوسط الآسيوي فحسب بل في الشرق الآسيوي كله، وسوف تصيب آثاره الجوار الإسلامي الفارسي والعراقي بما قد يعيد للأذهان وعلى أرض الواقع أمجاد الأجداد القريب، ومن ثم إحباط محاولات الغرب الصليبي الاستعماري، وهو ما عبر عنه الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) صراحة بقوله المشكلة هو الإسلام - قالوا وما الحل؟ قال: أن نأتي بأبناء المسلمين ثم نرسلهم إلى بلادنا كي نحققهم بثقافتنا ونعيدهم إلى بلادهم ثم أضاف يجب على روسيا وأمريكا أن تتحدا للحيلولة دون قيام حكم إسلامي في أفغانستان<sup>(١)</sup>.

ولعلنا بذلك نكون قد قدمنا ما يدحض ما يروجّه الإعلام الغربي حاليا وما يقدمه من تصوير الأفغانيين على أنهم مجموعة متخلفة من الجنس البشري تعيش في كهوف الجبال وتاكل العشب والكلأ، وتشرب من الآبار وتعيش على زراعة المخدرات في سفوح الجبال.

(١) تبصير الأذهان ببعض المذاهب والأديان.

وما اظنُّ ذلك يُجدى إلا عند من يجهل حقيقة التاريخ ولا يدري طبيعة الجغرافية. وهذه هي الطامة الكبرى في وقتنا المعاصر. حيث الترويج الإعلامي الغربي الهادف إلى طمس حقائق التاريخ، وترويج الأباطيل من أجل تبرير الحملات الشرسة على إخوة الدين أبناء الأمة في الشرق والغرب على السواء.

إن الاستعمار وحده وهو صاحب المصلحة الكبرى، بسانده عملاؤه من بنى جلدنا يروجون بل ويجبرون على إظهار أفغانستان في هذه الثياب البالية من التخلف والهمجية والغوغائية. وأن الشعب الأفغانى فى مسيس الحاجة إلى قائد يقوده، (بابا) يراه. وما حقيقة ذلك إلا صنيعه استعمارية خالصة - داوم الاستعمار على صنعها واستمرار وجودها، حتى وأتته الفرصة على طبق من ذهب بعد أحداث ١١/٩/٢٠٠١ حيث ذهب الأبوان (بوش - بليز) لرعاية الشعب الأفغانى وحمائته من طاعون جديد اسمه (الأصولية الإسلامية) القاتلة .

\* \* \*

### ثالثاً : الشرق الأقصى

ويقصد به مجموع الجزر الشمالية (اليابان)، وجزر (الفلبين) فى الوسط، وشبه الجزيرة الكورية والصين، وقد نجحت هذه المناطق تماماً من السيطرة الاستعمارية التى وُجدت بالفعل فى الوسط الآسيوى لمجموعة من الأسباب من أهمها:

- ١- وجود إمبراطوريتين كبيرتين - قويتين هناك هما (اليابانية - الصينية).
- ٢- خلو هذه المناطق من الفتوح الإسلامى سواء فى ذلك السلمى منه أو العسكرى بما يجعلها آمنة من التهديدات الاستعمارية الوافدة.
- ٣- وجود كثافة سكانية هائلة فى الصين تشكل فى ذاتها درعا بشرياً كبيراً ومنيعاً حتى لا تطأ أرض المستعمرين الأراضى الصينية.
- ٤- بعد اليابان الجغرافى الذى بلغ الأقصى بما يجعل من احتلال تلك المناطق مغامرة عديمة الجدوى لانعدام المردود الاقتصادى العاجل منه والآجل أو ندرته.
- ٥- الحرص الاستعمارى الشديد على التواجد العلنى حيث وُجد الإسلام والمسلمون وذلك لأن الدين الإسلامى واللغة العربية هما الهدف المنشود من كل الحروب التى يشنها الصليبيون على العالم الإسلامى، فأينما وجد صليبيون فإن غايتهم من دون كل غاية هى القضاء على لغة القرآن الكريم، لأجل أن تنتشر مسيحيتهم المحرفة فى مواجهة الزحف الإسلامى ومقاومته.

وفى ذلك يقول صحفى غربى «إن الشيوعية أفضل من الإسلام لأنها فى الأصل فكرة غربية يمكن الإلتقاء معها أما الإسلام فلا التقاء معه إلا بالحديد والنار»<sup>(١)</sup>.

(١) تبصير الأذهان ص ٧ .

وقد أكد على ذات المعنى رئيس الوزراء البريطاني الأسبق (ويليام جلادستون) في المدة من (١٨٨٠ : ١٨٨٥) والذي في عهده احتلت القوات البريطانية مصر عام ١٩٨٢م بحجة إخماد الثورة العرابية، ثم بقيت مصر تحت الاحتلال البريطاني حتى ثورة يوليو ١٩٥٢ وتنفيذ إتفاقية الجلاء في ١٩٥٤ حيث قال: ( ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق) (١).

وقد بدأت البرتغال سعيها المبكر نحو جزر اليابان في ١٥٤٢ حيث جلبت إليها أسلحة نارية بدائية تسمى «الغدارات».

وفي عام ١٦٠٠م امتدت الإمبراطورية الأسبانية إلى جزر الهند الشرقية بعد أن بدأت أسبانيا عصر الكشوف الجغرافية وتمكنت من احتلال أيبيريا، وأغلب أمريكا الجنوبية وأجزاء من إيطاليا.

وفي عام ١٦٥٥م استولى الهولنديون على جزيرة (جاوا) إحدى جزر أندونيسيا التي دخلها الإسلام عام (١٤٠٠) سلماً عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يجوبون البحار الجنوبية للتجارة مع الشرق وجلب بضائعه.

أما التدخل الأجنبي المباشر في شعون الصين والذي حدث للمرة الأولى فلم يحدث إلا مع دخول البعثات الدينية الكاثوليكية إلى الصين بعد أن سمحت حكومة البلاد لتلك البعثات التبشيرية التي تأتي في طليعة المخططات الصليبية لتنصير الصينيين، وإغلاق كل الأبواب والمنافذ في وجه الدعاة المسلمين الذين عرفوا طريق الصين منذ أمد بعيد.

ولم تلبث هذه البعثات التبشيرية أن مارست أعمالاً لا تتفق وطبيعة مهامها الدينية، وذهبت إلى أبعد من ذلك بكثير، مما أجبر حكومة الصين إلى إصدار قرار يقضى بحظر نشر الديانة المسيحية على أراضيها، وبين مواطنيها بعد بدء انتشارها على أيدي المبشرين الغربيين.

وقد ظل العرب متمتعين مفردين دون غيرهم من التجار الصليبيين بالتجارة مع الموانئ الصينية حتى جاء ١٨٥٦م حيث تآمرت فرنسا وبريطانيا ضد الصين، وأعلنتا عليها (حرب الأفيون) الشهيرة التي استمرت حتى عام ١٨٦٠م حيث أرغمت الموانئ الصينية على التجارة مع الغرب في العام ذاته.

وكانت بريطانيا قد هزمت الفرنسيين في موقعة (وند يواش) بجنوب مدراس بالهند عام ١٧٦٠ وقضت على منافستهم تماماً، ودانت لهم الهند بالسيطرة وفي العام

(١) المصدر السابق ص ٧.

التالى تمكن البريطانيون من السيطرة على جزر الهند الغربية كلها التى خضعت تماما فى (١٧٦٣م).

وفى عام ١٨١٥ حصلت بريطانيا على [الكاب، وموريشيوس، وجزيرة أسنشن، وهيليجوالندا، وسيلان، وتوباجو، وسانت لوتشيا] من خلال تسوية ما بعد الحرب مع فرنسا.

توسعت بريطانيا فى سياستها الإستعمارية حتى حدثت الإضطرابات، ووقعت حروب السيخ فى المدة من ١٨٤٥ : ١٨٤٩م فضمت بريطانيا معقلهم (إقليم البنجاب) إلى مستعمراتها فى الهند.

وعملت بعدُ على إستقطاب جماعات بعينها ، وأفراد بوصفها، ثم قامت بإعدادهم، وتدريبهم، وتأهيلهم، وحقنهم بثقافتها الغربية الصليبية، ودست فيهم من يزعمون أنهم مسلمون من بعض ما يسمى بالمذاهب الإسلامية من (الإسماعيلية والأحمدية، وغيرهم) ممن اطمأنت إليهم. وقد باتوا جميعا على أهبة الإستعداد للإنتلاق نحو الخطوة القادمة للزحف الكبير إلى إفريقيا بعد أن دانت (شبه القارة الهندية) بالخضوع للإستعمار الإنجليزى وبعض الجنسيات الأخرى الذين تسابقوا جميعا نحو المرحلة الجديدة يدفعهم إليها البحث عن مواطن المعادن والثروات، والإستيلاء عليها قبل السيطرة الإسلامية القادمة.

فكان العبور إلى القارة الختام (البكر) لنهاها واغتنامها، وتضييق الخناق على التجار المسلمين، ومحاصرة رجال الدعوة الإسلامية من أجل محاربة الإسلام، والتضييق والتشديد عليه، ولأجل تسهيل عمل جماعات التبشير المسيحى.

\* \* \*

#### رابعاً: جنوب شرق آسيا

وهى المنطقة التى تقع جغرافيا إلى الشرق من شبه القارة الهندية باتجاه الطرف الجنوبى، وتتكون من مجموعة من الدول هى (بورما - لاوس - فيتنام - كمبوديا - تايلاند (سيام) - الفلبين - ماليزيا - سنغافورة - اندونيسيا) بالإضافة إلى (فطانى) التى تقع بين شبه جزيرة الملايو وبين تايلاند، ومن المعروف أن (فطانى) كانت سببا إلى الآن فى نزاع مستمر بين تايلاند التى تتبعها فطانى إداريا، وبين ماليزيا التى ترى أنها امتداد لشعبها وأرضها. وغير كل ذلك فهناك منطقة (برونى) وهى جزيرة صغيرة تقع إلى الشمال من جزيرة (بورينو).

وقد عانت منطقة جنوب شرق آسيا أشد المعاناة من الاستعمار الذى لم ينج منه إلا تايلاند التى تُركت كمنطقة محايدة لخدمة التسويات الاستعمارية بين الدول الاستعمارية التى كانت تسيطر على المنطقة طبقا للوضع التالى :

فرنسا: سيطرت على لاوس، وكمبوديا .

البرتغال: سيطرت على فيتنام ثم ورثتها فرنسا.

أمريكا: سيطرت على الفلبين .

هولندا: سيطرت على اندونيسيا.

وقد نجحت شعوب تلك المنطقة في التخلص من الاستعمار الغربي، ولكن النفوذ الشيوعي تسرب حديثاً إلى بعض دولها مثل ( لاوس - فيتنام - كمبوديا ) .  
وتجدر الإشارة إلى أن فيتنام قد تم تقسيمها إلى شمالية موالية للإتحاد السوفيتي، وجنوبية موالية للولايات المتحدة الأمريكية، وقد نجح الشماليون في الزحف نحو الجنوب، وتمت وحدة الشطرين تحت النفوذ الشيوعي، كما تمكنت فيتنام من التسلط على كمبوديا اليسارية الموالية للصين، ومن ثم أصبحت كمبوديا وفيتنام تدوران في الفلك السوفيتي .

واجتهدت الولايات المتحدة على الإبقاء على مصالحها في المنطقة من جانب ومن آخر للوقوف أمام المد الشيوعي، وتحجيمه، واتخذت لأجل ذلك أساليب متنوعة، انتهت إلى اتجاه بعض دول الجنوب الشرق آسيوي إلى التحالف مع الغرب مثل ( تايلاند، ماليزيا، الفلبين، سنغافورة ) أما بورما واندونيسيا فقد انضما إلى مجموعة دول عدم الإنحياز .

أما المجتهد في قراءة التاريخ فإنه يستخلص وجود عدد من الديانات والملل والنحل المتنوعة والمتعددة في الأقطار التي خضعت للنفوذ الصيني والتي تعتبرها الصين امتداداً لأراضيها، وكذلك فإنه يتحقق من حقيقة فرض الديانة المسيحية قهراً على الفلبين بسبب خضوعها المبكر للاحتلال الأسباني، بينما يحصل له اليقين في أن الإسلام أنقذ جزر الملايو قبل أن تذوب في الزحف الصيني، بحيث يمكن القول أن شعب الملايو اعتنق الإسلام ديناً وقومية، وكذلك يمكن التأكيد على أن الإسلام امتد إلى الجزر التي لم تكن امتداداً للأرض الصينية، أما فيتنام فالمسلمون فيها عدد قليل يؤرقهم الدفاع عن وجودهم بمصارعة الشيوعية .

وتفيد الإحصائيات الواردة عن المصادر غير المقربة<sup>(١)</sup> أن عدد المسلمين بمنطقة جنوب شرق آسيا على وجه التقريب باعتبارهم أقليات في بعض البلدان كالاتي :

( ١ ) بعض المواقع على شبكة المعلومات الدولية (إنترنت) .

الفلبين : ٩٠٠٠٠٠٠٠ تسعة ملايين نسمة .

تايلاند : ٤٠٠٠٠٠٠٠

بورما : ٣٠٠٠٠٠٠٠٠

كمبوديا : قرابة المليون مسلم .

لاوس : حوالي ٢٥٠.٠٠٠ مائتين وخمسين ألف نسمة .

أما مأساة الشعب الفلبيني فلا بُدَّ من إلقاء بعض الضوء عليها حيث أنها تمثل أحد أوجه الهجمة الصليبية الغربيّة الشرسة على المسلمين في ديارهم، والتي لم تفرق في همجيتها بين سحق المسلمين في أوروبا والهجوم عليهم في ديارهم ومواطن دينهم بغرض القضاء عليهم أو تصريهم حتى في أقاصي الشرق من العالم .

وقد تعرضت الفلبين في العصر الحديث لعوامل اضطرابات مختلفة أثرت في عقيدة أبنائها، وغيّرت مجريات الفكر الديني بها على الرغم من دخول الإسلام أراضيها في مراحل مبكرة لدرجة كانت من الممكن أن تكون من مجموع الجزر الفلبينية دولة قوية كما فعل باندونيسيا .

ويرجع السبب في ذلك لأن الفلبين التي تتكون من مجموعة من الجزر تشكل في مجموعها دولة واحدة تخضع لسيادة امبراطورية (ماجاييت) التي انهّارت مع أواخر القرن الخامس عشر .

وعلى إثر إنهيار الإمبراطورية بدأت بعض الجزر الفلبينية إما في التفكك وإقامة ممالك مستقلة أو في التجمع لتكوين مملكة أكبر، وكان الإسلام دين غالبية الشعب الفلبيني .

ولم يستمر بهم الحال هكذا طويلا، ففي عام ١٥٢١ دَهَمَ تلك الجزر الاستعمار الأوروبي الصليبي الأسباني الذي كون من هذه الجزر دولة واحدة أسماها الفلبين نسبة إلى الملك الأسباني (فيليب الثاني) .

وقد جاء الأسبان إلى هذه المنطقة وهم يحملون في رؤوسهم وصدورهم الفكر والحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين، فقاوموا الإسلام مقاومة جبارة، واکرهوا الناس على اعتناق المسيحية كما يذكر المؤرخون (بالحديد والنار) وأسسوا معاهدهم

الكاثوليكية هناك، وحاولوا طمس الهوية الإسلامية، والقضاء على كل مظاهر الحياة الإسلامية وهدم مؤسساتها.

وهذا المسلك يفسر ما للأسباب من تاريخ خاص فى الصراع الصليبي الإسلامى بعد أن حاربوا الإسلام وأبادوا المسلمين فى أسبانيا ثم زحفوا إلى الفلبين وفعلوا بها ما فعلوا حتى باتت الفلبين هى الدولة المسيحية الوحيدة بين دول منطقة جنوب شرق آسيا مجتمعة.

\* \* \*

### خامساً : ردة الفعل الصليبية

بعد أن تغلغل الإسلام فى القارات الثلاث، وبدأ عصر التحولات الكبرى بفضل انتصار الفتوحات الإسلامية التى حققت عظيم النتائج والآثار فى المناطق التى خضعت مباشرة لسلطة المسلمين، خاصة تلك المستعمرات الأوروبية الكثيرة التى اعتنق أهلها الدين الإسلامى بعد أن حررهم المسلمون من تبعية الكنيسة وعقيدتها الضالة وطقوسها البغيضة، تماماً كما حدث فى القرس والروم ( القسطنطينية ) وفى مصر وشمال إفريقيا منذ فجر الإسلام.

وقد بدأت أوروبا مؤخراً بعد أن أخذت تفيق من غفوتها فى الوقوف فى وجه الإسلام ومصارعته، حيث رأت أن حضارته دماراً لها ورحيلاً لدورها ونهاية لوجودها، فنهضت واجتهدت فردته عنها، واقتحمت عليه آسيا وإفريقيا .

وتلك كانت نقطة إنطلاق الغرب فى نشر المسيحية عن طريق التنصير القسرى أو جماعات ( إرساليات ) التبشير، أو من خلال تجارة الرقيق التى ارتبطت بالأوربيين، ولا يعود السبب فى هذه الرغبة الجامحة إلى وازع دينى يتعلق بنشر المسيحية نفسها، ولكن لإضعاف المسلمين والقضاء على الإسلام، وشغله فى دياره بمعارضين من بيئته، وقد عملت لاجل ذلك فى محاور مختلفة ليتحقق لها ما أرادت، وقد كان لها على مراحل مختلفة من أبرزها:

– الاستغلال الجيد للأحداث، والتوفيق فى توظيفها، فما أن توفى السلطان العثمانى « محمد الثانى » ( ١٤٨١م / ٨٩٦ هـ ) وهو يستعد لغزو إيطاليا، وحدثت بذلك فترة من الهدوء، حتى تمكن أحد قادة الأندلس ( مركيز قادش ) من الإستيلاء على حصن « الحمه » فى قلب الأندلس، والموقف الإستراتيجى لغرناطة يبدأ فى التدهور من جراء ذلك، ومع مطلع « ١٤٨٣م ، ٨٨٨ هـ » تم تعيين الكاردينال السفاح « توركيمادا » رئيساً لمحاكم التفتيش فى إسبانيا<sup>(١)</sup> وقد شرع بدوره فى اضطهاد

(١) سنتحدث عنها لاحقاً إن شاء الله تعالى ضمن كتابنا/ اغوار العالم الإسلامى اعاننا الله على إخراجه .

المسلمين، وقد تعاطم دوره بعد سقوط غرناطة (١٤٩٢م / ٨٩٧هـ) وقد سقط على عقبها حصن (لورة) الإسلامي الاستراتيجي في أيدي (فرديناند، إيزابيلا) اللذان تزوجا في عام ١٤٦٩م. وقد تم توحيد مملكتي (قشتالة، الأراجون) بما مهد لانتزاع غرناطة من أيدي المسلمين، وازداد الموقف سوءا على المسلمين ثم سقطت مدينة (رندة) الجبلية القوية التحصين سنة ٨٩٠هـ - ١٤٨٥م في أيدي (فرديناند، إيزابيلا) وغرناطة تتبدد قواها، وفي ٨٩١هـ سقطت (لوشه) الأندلسية، وظهرت لأول مرة المشاركة الأوروبية في الحرب حيث ظهر جليا الدعم الهائل الذي تلقاه الأسبان أثناء القضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس، حيث شاركت قوات إنجليزية في المعركة بقيادة اللورد (اسكليز) بينما حكام العالم الإسلامي (سلاطين الممالك في مصر، سلاطين السعديين في المغرب، سلاطين العثمانيين) يتقاعسون عن نجدة الأندلس، تماما كما حدث في عام ٢٠٠٣ حيث تقاعس حكام العالم العربي الإسلامي أجمعين عن نجدة بغداد التي سحقته أمريكا وبريطانيا وبولندا وأستراليا، وإذا التمسنا عذرا للسابقين بحجة أن الأندلس تقع في البطن الأسياني وفي الأرض الأوروبية، فما هو العذر إذا للاحقين إذا كانت بغداد تقع في قلب العالم الإسلامي وهي البوابة الشرقية للأمن القومي العربي الجماعي والإقليمي على السواء والتاريخ شاهد على ذلك.. ولا حول ولا قوة إلا بالله).

وفي عام ١٤٨٧م / ٨٩٢هـ سقطت «مالقة» بعد حصار قاس، وقصّف شديد بالمدفعية الذي لم تُجد معه المقاومة الباسلة العنيدة التي أبدتها القائد الأندلسي «عبدالله الزغبى»، وليس على إثر ذلك المسلمون لباس العار، والتصقت بهم الفضيحة الكبرى؛ حيث تمكن الأسبان من الإمساك بخمسة عشر ألفا من سكان «مالقه» المسلمين، وحرّاث المسلمين. وباعوهم في سوق الرقيق لأول مرة في التاريخ الإسلامي. ثم سقطت «بسطة» في ٨٩٤هـ - ١٤٨٩م بعد مقاومة شديدة لحصار عنيف من قوات فرديناند وإيزابيلا.

ومع تضيق الخناق، وإحكام الحصار الصليبي على غرناطة، ومع استمرار العجز العربي والإسلامي اضطر حكام المدينة إلى توقيع شروط تسليمها للإسبان المسيحيين في ٢٥ / ١١ / ١٤٩١، ونظراً لقوة العدو الغاشمة المدعومة كثيرا من جانب الأوروبيين، ارتضى هؤلاء الحكام شروطا مهينة أفضت عليهم استسلاما ندموا عليه فيما بعد في وقت لم ينفع فيه الندم.

وجاء اليوم الحزين في تاريخ الأمة الإسلامية، حيث دخلت القوات الأراجونية بقيادة فرديناند، والقشتالية بقيادة إيزابيلا إلى غرناطة آخر المعاقل العربية الإسلامية في

الأندلس بعد تسليمها لهم فى الثانى من ربيع الأول ٨٩٧ هـ الموافق الثالث من يناير ١٤٩٢ م بموجب شروط المعاهدة، وبذلك فقد العرب فردوسهم الزاهر، وخرج أبو عبد الله الصغير (أبو عبد الله محمد) آخر ملوك بنى نصر - يبكى فقالت له أمه « كالنساء ملكا لم يحافظ عليه كالرجال » .

وأجبر المسلمون على التنصير فى أسبانيا، وقُتل منهم من أبى بعد بداية عمليات الإضطهاد الشامل لمسلمى الأندلس الخاضعين للحكم الأسباني حيث بدأ كردينال غرناطة المجرم ( خمينيث ) فى ٩٠٣ هـ الموافق ١٤٩٨ م مشروعه الحقيقير فى تنصير المسلمين، ومنحهم مهلة لاعتناق المسيحية، وإلحاق بهم الموت وبرر ذلك برغبته فى إنقاذ أرواحهم الضالة بحسب زعمه .

● تطويق العالم العربى والتضييق عليه : فبعد أن تمكن البرتغالى ( فاسكوداجاما ) فى ١٤٩٨ م من اكتشاف رأس الرجاء الصالح إلى الهند، تأثر العالم العربى تأثراً مباشراً بعد أن فقدت مصر والعراق والسام أهميتها التجارية والاقتصادية الناتجة عن تحكمها فى طرق التجارة بين الشرق والغرب ( كما سنبين لاحقاً تفصيلاً لذلك )، ومن ثم انتقل الثراء التجارى إلى بلاد الغرب ومعه كل مقومات القوة والعز والسؤدد، وبعد حوالى عشر سنوات استطاع الصليبيون التواجد على أرض العرب باحتلال مسقط ( سلطنة عُمان الحالية ) منذ عام ١٥٠٨ : ١٦٤٨ م بالقرب من القلعة الإسلامية ( بيت الله الحرام ) فى مكة المكرمة، حتى تمكن الفرس من طردهم فى ١٦٤٨ م، وكان البرتغاليون قد أقاموا من قبل أول حصن دفاعى أوروبى على الشاطئ الإفريقى على الساحل الموريتانى فى سنة ١٤٤٨ م، ثم أقاموا قاعدة تجارية على ساحل الذهب ( غانا ) فى سنة ١٤٨٢ .

● الهجوم على المسلمين فى ديارهم : حيث تمكن الغرب الصليبي بعد تحويل تجارته إلى رأس الرجاء الصالح فى بداية عصر الكشوف الجغرافية، وقد دخلت هولندا وأسبانيا إلى مجال المنافسة لأجل اكتشاف العالم الجديد، على أنقاض ما تعلموه من العرب، وهو ما تمكنت بفضلها أوروبا من شدة الثراء والتقدم فى مقومات القوة والعزة والسيادة فى مقابلة العالم الإسلامى المتحلل إلى القطرية والجزئية، فضلاً عن الآثار السيئة التى أحاقت بالعالم العربى نتيجة لتولى عناصر غير عربية شئون العالم الإسلامى، والتى ظهرت علناً بدحول السلطان العثمانى « سليم الأول » إلى القاهرة فى يناير ١٥١٧ م وأسرِهِ للخليفة العباسى، وإعدامه للسلطان المملوكى « طومان باى » .

الامر الذى جعل الاوروبيين على اعتاب مرحلة جديدة مكنتهم من بسط سيطرتهم على معظم دول العالم بعد الاكتشافات الجغرافية التى بدأها « كريستوفر كولمبس » الذى تمكن من عبور المحيط الاطلسى سنة ١٤٩٢ فى طريقه إلى الهند عن طريق الغرب، واكتشف فى رحلته تلك جزر (البهاما، وكوبا، وهبانيولا). وبدأ التنافس الأسباني البرتغالى فى اكتشاف الأمريكتين ثم اقتسامها بعد، حتى دخلت فرنسا وبريطانيا لاحقا.

● وَضَعَ العالم الإسلامى نفسه طواعية فى مهب الريح العاتية بعد انهيار الدولة العباسية التى على إثرها انتقلت الخلافة إلى القاهرة، فمنذ ذلك الحين بدأت قيام الدويلات القزمية على أنقاض الخلافة العباسية مترامية الأطراف ومن أشهر هذه الدويلات ( اليزيدية فى طبرستان - إيران، الجستانية فى شرق إيران، « الطولونية » فى مصر، « السامانية » فى ما وراء النهر وبخارى وسمرقند، « القرامطة » فى العراق، « الحمدانية » فى حلب، « الفاطمية » فى مصر، « البويهية » فى فارس، « السلجوقية » بشمال إيران، « الغزنوية » بأفغانستان، « الصنهاجيين » فى تونس، « الأغالبة » فى تونس، « الطاهرية » فى خراسان، « وبنى عباد » فى الأندلس، و« بنى حماد » فى الجزائر، و« الصليحية » فى اليمن، « المرابطين » البرابرة فى المغرب الأقصى، « الأدارسة » فى المغرب ) وكل هذه التطورات السياسية وما يصحبها من تدهورات اجتماعية واقتصادية وقعت فى المدة بين ٧٨٩ : ١٠٥٦ الموافق ١٢٤ : ٤٤٦ هـ تقريبا.

● وقد استغل الأوروبيون طرد السلاجقة من آسيا الصغرى وبدأوا حملتهم المنظمة لإرباك الشرق والهجوم على الإسلام فى دياره بفضل ما استطاعوا من تحقيق أقصى استفادة ممكنة من المعطيات والمستجدات، وما ملكوا من إدارة جيدة وتخطيط منظم حتى تمكنوا من الهجوم الشرس مباشرة على العالم الإسلامى حتى واتتهم الفرصة لدخول بيت المقدس ( كما سيأتى فى حينه بيانه ) وقد تكرر الوجود الصليبي فى فلسطين بعد سقوط ( عكا ) القاعدة البحرية لمصر الفاطمية فى أيدي الصليبيين فى عام ١١٠٤م، ثم استطاعوا السيطرة على طرابلس الشرق لتصبح دولة صليبية رابعة إلى جوار انطاكية فى ١١٠٩ ، والرها وبيت المقدس، ثم سقطت بيروت

وصيدا في أيدي الصليبيين في ١١١٠م، وقد استطاعوا بفضل انشغال العرب بقضاياهم الداخلية أن ينتزعوا البرتغال، من أيدي الحكم العربي الإسلامي، وتأسست المملكة البرتغالية عام ١١٣٩م ثم انتزع ملكها مدينة لشبونة من أيدي المسلمين عام ١١٤٤م.

● بوازع من الإنتقام ورغبة في التدمير، بدأت الهجمة الهمجية الأوروبية على الساحل الشمالى لإفريقيا حيث القلاع والحصون الإسلامية التي دخلت أوروبا وحكمت بعض مناطقها ما يربوا على الخمسمائة عام؛ كما أن تلك الهجمات الشرسة كانت تهدف إلى القضاء على المسلمين في أوطانهم وبتربيتانهم، للحيلولة دون قيام دولة إسلامية قوية تعود إليهم من جديد وهو ما يجعل الحدود الجنوبية الأوروبية آمنة تماما ضد أى فتح إسلامى جديد.

\* \* \*